# الكلمة أمانة

سماحة الشيخ عبدالعزيز
ابن عبدالله آل الشيخ
مفتي عام المملكة العربية السعودية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسـلام على أشرف الأنبياء والمرسـلين وبعد.. فإنني أتحدث هنا عن أمانة الكلمة وهو موضوع مهم لكل مسـلم، فالكلمة إمَّا أن تكون كلمة صادقة نافعة مفيدة، فتكتسـب بها أجراً وثواباً، وإما كلمة سـيئة، وكلمة خبيثة، وكلمة تدعو إلى باطل، وتؤيد الشرَّ والفساد؛ فتلك كلمة تُحاسَب عليها. فاسمع إذاً فضل الكَلِم الطيِّب، في الحديث عنه ﷺ قال: «كلمتان خفيفتان على اللسان، حبيبتان إلى الرحمن، ثقيلتان في الميزان؛ سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم».

أخي المسـلم، كم تتكلّم في حياتك بكلمات؟ هذه الكلمات سـتكون وبالاً عليك في دنياك وآخرتك، وسـيخفُّ بها ميزان أعمالك، فأنت محاسَـب على الأقوال؛ كما أنت محاسـب على الأعمال؛ بل الأقوال أشدّ، فكم من مُسـيطر على نفسه في أعمال جوارحه، لكنَّه أمام لَفَظات اللسان عاجز، يُطلق للسانه العنان ليقول ما يشاء؛ فتعظم الأوزار والآثام.. و ربَّنا - جلّ وعلا - أخبرنا أن أقوالنا مُحصاة علينا: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] وقال ﴿يَوْمَ تَشْـهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِـنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ{٢٤} يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٤ - ٢٥].

وأنت أخي المسـلم كلماتك تُعبّر عمَّا انطوى عليه ضميرُك، كلماتك تُعبِّر عمَّا اسـتقرَّ في قلبك، كلماتك تُعبِّر عن اتجاهك الفكري، ومدى ما وصل إليه اتجاهُك وتفكيرُك، إذاً فاللسان تُرْجُمان القلب، يتكلم هذا بلسانه فتستطيع أن تُقوِّم فكرَه ورأيَه، وتستطيع في الغالـب أن تطّلـع على أفكاره ومكنوناته من خلال تلكم الكلمات التـي تلَفَّظ بها، ولذا قال الله لنبيه ﷺ مخبراً له عن حال المنافقـين، وأنّـه - جلَّ وعلا - قادر أن يُطلِع نبيَّه على أعيانهم كلهم، لكن حكمـة الله تقتضي عدم ذلك، وإن عَلِم ما عَلِم منهم فغيرُهم لا يعلَمهم، إلا أن الله - جلّ وعلا - أخبر نبيه بصفة عامة، وهي الأقوال فقال: ﴿وَلَوْ نَشَاء لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٠]، فما انطوى عليه الضمير لا بدّ أن يكشـفه اللسـان، وإن تَحَفَّظ ما تَحَفَّظ، فإنّ فَلَتات لسانه تُنبئ عما في مكنون قلبه.

وكم زلّت بالكلمات أرجل أقوام، وضلّوا عن سـواء السـبيل! يقول الله لنبيه ﷺ في إخباره عن المسـتهزئين به وبأصحابه: ﴿وَلَئِن سَـأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُـولِهِ كُنتُمْ تَسْـتَهْزِئُونَ{٦٥} لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥ - ٦٦] ، أناس مع محمد ﷺ مجاهدون معه في غزوة تبوك، تكلّموا بكلمات زلّت بها القدم فنالوا الوعيد الشديد، قال قائلهم: «ما رأينا مثل قُرَّائنا هؤلاء، أكذبنا ألسناً، وأرغبنا بطوناً، وأجبننا عند اللقاء»!؛ يَعنُون رسول الله وأصحابه، فجاء الوحي من الله ليطلع نبيَّه على تلكم المقالة السـيئة، والمقالة الخبيثة، والمقالة المُنْبئة عن نفاق وغلّ على الإسـلام وأهله، فجاؤوا ليعتذروا، وليقولوا: هي كلمات قلناها نقطع بها مَشَـقَّة الطريق وعناءه، والرسـول يقول لهم: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُـولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: ٦٥]، لا يزيد على ذلك، ولا يرد عليه. إذاً فعلى كل مسـلم أن يتثبَّت في ألفاظه، وليحاسـب نفسـه قبل أن تزلَّ القدم، ولنَعلَم أن الكلمات السيئة كم هدمت من بناء أعمال صالحة! وكم أوردت صاحبها موارد العَطَب والهلاك! يقول ﷺ: «إن العبد ليتكلّم بالكلمة من سَخط الله، لا يظن أن تبلغ ما بلغت، يَكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه، وإن العبد ليتكلّم بالكلمة من رضوان الله، ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه».

إن الكلمة أمانة، فالتزم أمانة الكلمة لتكون من المؤمنين حقّاً، أنت مسلم آمنت بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبيّاً رسولاً، فلتكن كلماتك كلمات نافعة، وكلمات مؤثِّرة، وكلمات تخدم دينك، وكلمات تسـعى في لَمِّ شَعَث أمّتك، وكلمات تسعى في جمع الصفّ، وكلمات تُعالج بها قضايا الأمة على ضوء من كتاب الله، ومن سنة رسوله ﷺ . وللصحافة في هذا العصر دورها الفعّال في توجيه الأمّة، وبثّ الأفكار والآراء، وعلاج القضايا، وطرح القضايا من خلال الصفحات؛ لكي تأخذ مسارها في التوجيه والإرشاد، وإن كنا لنشكر لصحافتنا تغطيتها الأحداث، ومحاولتها علاج قضايا الأمّة، إلا أنّ لنا معهم وقفات نريد بها الخير والصلاح للجميع.

فأوّلاً: إنّ أغلى ما عند المسلم دينه، فدينُه الذي شرَّفه الله به، ودينه الذي أعزّه الله به، ودينه الذي اختاره الله له، أن جعله من هذه الأمّة المحمّدية التي هي خير أمة أخرجت للناس، فالمؤمن بالله ورسوله ودينه حينما يطرح للصحافة قضية، وحينما يكتب مقالاً، وحينما يعالج قضية من القضايا - يُهمّه قبل كل شيء: هل هذه الأطروحة، وهل هذه القضية، وهل هذه الكتابة ستكون في ميزان أعماله عملاً صالحاً، أو تكون عملاً سيئاً؟ فينظر إليها من هذه النظرة، فإن كان ما سيكتبه ويسطّره عملاً صالحاً، يرجو به ما عند الله من الثواب، ويكون سبباً لرجحان ميزانه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ{٧} وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨]، فليكتـب وليمضِ مخلصاً لله، قاصداً وجه الله والدار الآخرة، وإن فكّر في هذا المقال، ونظر إلى ما يريد طرحه من قضايا فوجد أنها لا تخدم هذا الدين، ولا تساهم في إسعاد الأمّة فليبتعد عنها؛ ليَسلَم له دينه وإيمانه.

وكم نقرأ أحياناً في الصحف مقالات لبعض كُتّابنا أو بعض الكاتبات، لكن للأسـف الشـديد يطرح بعضهم قضية، ويعالج بعضُهم بعضَ القضايا، وللأسـف الشـديد العلاج بعيد عن الواقع وشاقٌّ عن الصواب! وهذا للأسف الشديد مرجعه إما لأن هذا الكاتب كتب في حَقْلٍ ليس من اختصاصه، وفي أمر لا يتقنه ولا يدركه حقّاً، وفي أمر لا يتصور نتائجه، فيكتب من فراغ، فتأتي تلك الكتابة مشـلولة عن الخير؛ لأنَّ الكاتـبَ ليس من أهل الاختصاص، ولا ممن يعرف حقيقة ما يكتـب ونتيجة ما يكتب، فتكون الكتابة ضارّة غير نافعة، ومفسدة غير مصلحة.

إنّ خدمـة هـذا الدين أمانة في أعناق الجميع في أقوالنـا وأعمالنا، فلا بد إذا أردنا أن نعالج قضية مـن القضايا أن نعالجها من خلال كتاب ربِّنا وسُـنّة نبينا وأخلاق إسـلامنا، ففيهما الخير والكفاية لمِن اكتفى بهما. فالمجتمع المسـلم يحلّ قضاياه على وَفق كتاب ربِّه وسـنة نبيه ﷺ. فتُطرح قضايا يتحدَّث المتحدثون عن علاجها، ولكن للأسـف الشـديد لا ترى إلا قليلاً من الصواب، يُؤتَى بقضية المرأة أحياناً فيُكتب حولها ما يُكتب، ويقال عنها ما يقال، وكأنّ من يقرأ هذه الكتابة يرى أنّ المرأة عندنا في سـجن وراء القضبـان، وأنهـا، وأنها... وواقعنا - ولله الحمد - يُبيِّن على أنَّ المرأة عندنا قد نالت حظَّها من خلال تعاليم دينها، فهي الأم، وهـي الوارثـة، وهي الأخت، وإلى آخره... وربما غلَوْا في طرح قضايا المرأة، وقالوا عنها مـا قالوا، وإذا تأمّلت تلك المقالات رأيت فيها الشَّطَط والبُعد عن الصواب.